(٢٥)

# عيد

**حديث العيد**

**١ شوال ١٣٨٠ هـ - ١٨ مارس ١٩٦١ م**

عيد.. عيد قديم في جديد. عيد.. عيد جديد في قديم.

عيد.. عيد ظاهر من غيبه. عيد.. عيد غيب من ظهوره.

عيد.. عيد الآباء في الأبناء. عيد.. عيد الأجداد في الأحفاد.

عيد.. عيد الإنسان إلى ربه. عيد.. عيد الرب إلى عبده.

عيد.. عيد قديم الزمان في حاضر الزمان من حياة الإنسان.

إن العيد لمن لبس الجديد، لمن لبس الجديد من أمره، لمن لبس الجديد من وصفه.

إن العيد لمن جاهد نفسه فغيرها، أماتها فأقبرها، ثم طلبها فأظهرها، ثم تعهدها فأحياها، أنارها فزكاها ثم نشرها فأرضاها.

إن الإنسان يدور حول نفسه، ولا يدور بنفسه في دائرة أمره. إن الإنسان يجهل معناه كإنسان فيغيب عن وجوده مولاه، وهو معه حيثما كان، وأينما كان، ومتى كان. قائم على كل نفس، أقرب إلى كل نفس من حبل الوريد، من وراء كل نفس محيط، كل نفس له وجه نضرت أو قترت، أشرقت أو غبرت.. إنها وجهه.

إن الإنسان يسعى ويكدح ليعرف، ليعرف له بيتا، إذا استيقظ منه العقل، واستيقظت منه النفس. فهل فكر - وهو النائم الشارد - في بيت يأويه؟! هل أحسن الظن في بيت بوصف بيت الحق له، بيت المأوى له، فطافه حتى يستجليه؟! لو فعل لهدي لبيت الحق فعرفه، فطافه، فتحققه فوقف عند بابه باكيا مستنجدا لأهله، مستعطفا أهله، طالبا اللحاق بأهله، ففتح له الباب فدخله فأصبح من أهله، فصلى منه على الناس كما صلى إليه على أهله مع الناس.

هل عرف الناس معارج الدين، ومعارج الإدراك، ومعارج الفهم، ففكروا أن الدين يقوم على بيت ليتيم، وعلى طعام يقدم من مسكين؟ وأن الناس إن فعلوا جددوا في البشرية نسبهم، وجددوا في الطبيعة انتسابهم، وجددوا بالله علاقتهم وإدراكهم؟ الناس نيام لا يقظة لهم إلا بموتهم عن أنانيتهم إلى أنانية مرتضاة منهم ومرتضاة من الله من قبل ارتضائهم.

المسيح.. الكلمة.. العبد.. الرسول.. لمن يمسح؟ وفيمن يمسح من هو مسيح؟ وكلمة من؟ ويعنون من؟ من كان أو من يكون كلمة؟ إن الكلمة ضربت مثلا للمسلم، بابن مريم في الإسلام، الذي جعل من كل مسلم ابنا لمريم إذا كان ابنا لفاطمة.. أم الأمة وسيدة نساء الأمة، وأم الأمهات من أزواج الرسول في عصر الرسول، وفي حياة الرسول، وفي فعل الرسول بالنسبة لأصحابه، فإذا ما غاب الرسول قامت الأم أم نفس الرسول على رسالة الرسول قامت أم أبيها.. أم الناس.. زهراء الجنس.. الناس ثمارها ما صدقوا في الله، والكلمات أبناؤها ما وفوا.. روح رسول الله.. أم محمد الله.. بعث آمنة من خلال خديجة.. مظهر البعث القريب والبعيد.. إنها الثوب الجديد لحواء قد ظهر، وقد عيد، من آدمها مع آدمها، ومن حقيقتها بآمنتها عاد آدمها ووليدها.. أم أمها وأم خديج نفسها.

إن الإيمان بمحمد.. إن الإيمان بدينه.. إن الإيمان بملته، بشريعته، بهديه، إنما يقوم على البعث، ويقوم على الإكبار لله في شقي الإكبار والتنزيه له، من شدة قربه حتى لا شريك له بلا إله إلا الله، وبعظمة العبودية فيه ذكرا لله محدثا للناس من ذكر لله تقادم عن الناس.. من الله أكبر، لا يدرك ولا يحاط ولا يوصف ولا يتسمى ولا يتسم ولا يشابه.. لم يكن له كفوا أحد.

فالناس في دين محمد باحث، فطائف، فطارق، فداخل، في بيت الله موضوعا ذكرا محدثا ببيت محمد من بيت مرفوع لذكر قديم بآدم. {وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها}[1]. فما أمر محمد أن يعلم طالب علم، إلا إذا دخل بيته، فيعلمه كيف تكون الصلة بالله. أما ما بين الناس، أو ما بين أيدي الناس، مما حمل إليهم عن عصره وبلاغه، جيلا بعد جيل، فإنما يقوم على التذكير بهذا الأمر.. {أرأيت الذي يكذب بالدين}[2] فذلك الذي يدعك أيها اليتيم، اليتيم عما انتسب إليه الناس من خيرات الدنيا، أو من خيرات الآخرة، فكانوا عبادا للدنيا أو عبادا للآخرة. اليتيم الذي اقتصر انتسابه وطلبه على معرفة نفسه من ربه، والذي طلب المزيد من المعرفة في إدراكه للعجز عن معرفة نفسه، فأدرك العجز عن معرفة ربه وعرف أنه لا يحيط بشيء من علمه إلا بما شاء، وأن ما أحاط به من العلم عن نفسه إنما هو إحاطة بالعلم عمن علمه، فعلم أن العلم في نفسه لا يتوقف أبدا، ولا يجز سرمدا، وعلم أن النفس علم عن معلومها. وعرف أن العبودية في الله معنى لا يفارق موصوفه في الإنسان مهما ارتقى فلو أصبح ربا فهو عبد، ولو أصبح إلها فهو عبد، ولو أصبح غيبا لشهادة فهو عبد، وأن شرف الإنسان في أن يكون

عبدا، وأن شرف الجان في أن يكون عبدا، وأن عطاء الإنسان والجان في أن يتجدد عبدا لعبوديته، وأن يبعث عبدا من عبوديته، وأن يرتقي ربا بعبوديته على عبوديته، وأن يصير عبدا لعبودية ربوبيته من نفسه.. أن يصبح ولدا وأبا وجدا بوصفه بعيدا عن معناه في آن واحد.. أن يتصف بثالوث الوصف ويبتعد عنه في وقت واحد.. أن يكون ابنا لأب يعلمه بوصفه أبا له، وأن يكون أبا لابن يعلمه بوصفه ابنا له، كما يعلمه بوصفه أبا له بعثا لأبيه من خلاله، فيعلمه روحا لهما من وصف أبيه إلى وصف ابنه.

إن العبودية في الإنسان والربوبية للإنسان إنما هي دورات حياته في الله يدور ويدور ويدور.. يظهر آدما ويذهب آدما، ويأتي ولدا لآدم أو كلمة لآدم أو مسيحا لآدم.

هذا ما علمناه رسول الله. هذا ما جاءنا به عبد الله ورسوله فكان لنا آدم، وكان لربه كلمة لآدم، وكانت دوحته الزهراء منه ولدا له وكلمة منه، وكنا ما كنا في هذه الدوحة له أبناء. {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم}[٣]، (المهدي ولدي)[٤]. (أنا جد كل تقي)[٥]، (فاطمة ابنتي روحي، من أغضبها أغضبني، ومن أغضبني أغضب الله[٦]) ، {قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين}[٧]. {وقل جاء الحق وزهق الباطل}[٨]. هو لنا أول العابدين، وهو لنا أول الخلق، وهو لنا أول الحق، وهو لنا أول الحياة، وهو لنا كل ما تخيلناه، أو نتخيله من أولية في الله. إننا إليه ننتسب، ومنه وجدنا، وفيه نتواجد، وإليه نعود. هو قبضة نور الله اللانهائي في وصفه والغير متصف عنده. هو نور السموات والأرض الذي يجب أن نتخذه وكيلا. إنه نور السموات والأرض وأكبر من ذلك لو أدركنا وتأملنا وعرفنا. إنه آدم بوصف ذاته، وإنه ما وراء آدم بوصف صفاته، وإنه ما نحن بانتشار رحمة الله فيه ورحمة الله بوجوده.. إنه القديم والجديد من الإنسان.. إنه البدء والإعادة من آدمه.. إنه البدء بربه وبادئ البدء بوصفه. بالحق أنزله وأيضا بالحق نزل، أنزل من ربه ونزل بنفسه بربه. {وقل جاء الحق وزهق الباطل}[٩] {الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم . والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم}[١٠]. (من رآني فقد رآني حقا)[١١].

إن الشيطان منكم من لا يتمثل بي ليكونني. إن الشيطان منكم من لا يرضيه أن يتخذ مني أسوة له ومثالا له لأكون جديده ليذهب قديمه من الشيطان ويأتي بي جديده من الرحمن، فكان بذلك معناي عبدا لربي وربا لنفسه إذا لبس جديده من أمر الله، فحقق الله له الأسوة بي فصارني فكنت جديده.

نعم.. إن العيد لمن بعث بجديد فلبس الثوب المحمد فكان محمدا في أمة كلها محمد. هذا هو دين محمد. وها نحن في كل عام نحتفل في مثل هذا اليوم بالعيد ولا ندري من فينا من صح له العيد، ومن منا

من مرت عليه الأعياد وقد عيد بقديم من فعل له صدق فيه أو من فعل له وفى به. والرسول يقول (إنما هي أعمالكم ترد إليكم)[١٢]، والرسول يهدي (موتوا قبل أن تموتوا)[١٣]، (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا)[١٤]، والقرآن يعطي ويقرر قانونه {ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعله إلا قليل ولو فعلوه لكان خيرا لهم}[١٥]، {فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره}[١٦].

إن الخير لمن عيد.. لمن لبس الجديد.. لمن صام عن دنيا أمره، ليست مأوى له مرتضىً عنده، ومن صام عن جنة جدته من آخرته تتكشف ليست مأوى له أو هدفا له في مأمول أخراه، من لم يأبه للنار - دار قيامه - مرتضى منه أو مخشيا منه جزاء غفلته أو عصيانه.. ولكن من طلب في الله ربه غفورا، بوصفه المرضي عنده. عرفه مستغنيا عن عبادته من عابده. وعرف أن العبد لا يستغني عن العبادة له، فهي طعامه، فهي مائدته، فهي قيامه، فهي كيانه هو. ولكنه يطلب ربه ويطلب رسول ربه ويطلب الحق في الله ويطلب نفسه بالحق حية كريمة غير موات ولا مهانة، فيعاد إلى نفسه وتعاد نفسه إليه، مرتضاة من ربها راضية عن ربها. وكان هو ربها وكانت هي عبده وكان هو في موجوده في الله العبد والرب.. العبد بها والرب عليها.

هذا هو الدين إذا عاد إليه عائد من ضلالة، فاستقبل البيت مصليا، ثم ذهب إلى البيت حاجا، ثم طاف بالبيت متأملا، ثم وقف عند باب البيت مسلما، ثم بكى عند أسواره محبا، فتفتح له باب البيت عطاء من رب البيت وأهل البيت لا آخذا بيده، ولكن جزاء وفاقا لأنه تعرض لنفحة الله في يومه دنيا، وتعرض لنعمة الله لغده أخرى، فلبس جديده وقام عيده.

إن العيد قيام في الإنسان يقوم فيه. يحسه ويدركه ويرتضيه. ويكرره عيدا بعد عيد وجديدا بعد جديد.. فارقا بين الحق والباطل في فعله.. صديقا لرسول الله، ثم صادقا مع رسول الله، ثم صدقا من الله ورسوله.

هذا هو المسلم في معارجه، وهذا هو العيد في حقيقته.

فنسأل الله أن يجعلنا برحمته في عيد. وأن يعيدنا على ما أنشأنا من أحسن تقويم. وأن يستخلصنا من أسفل سافلين. وأن يجعلنا في قابلنا على ما كنا في قديمنا من أزله في أحسن تقويم، فنلبس ثياب الجدة وثياب العودة وثياب العيد من ثياب محمد أسوة لنا ونبيا لنا وعبدا لله وربا لنا ورسولا منه إلينا يرعانا ويقودنا ويجددنا به في رحمة الله. هدانا الله وإياكم سواء السبيل وأعاد علينا مثل هذا اليوم وهذا العيد في جديد من أمرنا.. لابسين ثياب الجدة من حقائقنا من أمره بتجدده مع أنفاسنا بصلاتنا عليه، عليه السلام والصلاة بصلتنا به معنا صلى الله عليه وسلم.. وكل عام وأنتم بخير.

# مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة طه - ١٣٢

٢ سورة الماعون- ١

٣ سورة الأحزاب - ٦

٤ حديث شريف: "المهدِيُّ رجلٌ مِنْ ولَدِي، وجْهُهُ كالكوْكَبِ الدُّرِّيِّ". أخرجه الطبراني.

٥ في معنى الحديث الشريف: "سُئِل رسولُ اللهِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم مَن آلُ محمَّدٍ فقال كلُّ تقيٍّ وقال رسولُ اللهِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم {إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ}. أخرجه الطحاوي في ((أحكام القرآن)) مختصراً، والعقيلي في ((الضعفاء الكبير))، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) باختلاف يسير.

٦ إشارة للحديث الشريف: " فاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنّي، فَمَن أغْضَبَها أغْضَبَنِي." أخرجه البخاري ومسلم، والحديث الشريف: "فاطمة بضعة مني وأنا منها، فمن آذاها فقد آذاني، من آذاني فقد آذى الله." المكتبة الشيعية. بحار الأنوار.

٧ سورة الزخرف - ٨١

٨ سورة الإسراء - ٨١

٩ سورة الإسراء - ٨١

١٠ سورة محمد - ٢:١

١١ حديث شريف: مَن رآنِي فقَدْ رَأَى الحَقَّ؛ فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَكَوَّنُنِي." صحيح البخاري. وقد جاء بلفظ "مَن رآنِي في المَنامِ فقَدْ رآنِي، فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَشبه بي". صحيح ابن حبان.

١٢ من حديث قدسي: ".. يا عبادي! إنَّما هي أعمالُكم تُرَدَّ عليكم، فمن وجد خيرًا فليحمَدْني ومن وجد غيرَ ذلك فلا يلومَنَّ إلَّا نفسَه." الراوي: أبو ذر الغفاري. المحدث: ابن تيمية المصدر: مجموع الفتاوى، وحلية الأولياء حكم المحدث: صحيح.

١٣ حديث شريف. المحدث: الزرقاني، ولكن لم يثبت سنده، ويوافق الحديث الشريف: "كُنْ في الدُّنيا كأنَّك غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ وعُدَّ نفسَك في الموتَى". أخرجه البخاري.

١٤ مقولة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه نصها: "حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، فإنه أخف عليكم في الحساب غدا أن تحاسبوا أنفسكم اليوم وتزينوا للعرض الأكبر، كذا الأكبر {يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية}.

١٥ سورة النساء - ٦٦

١٦ سورة الزلزلة - ٧